

تفسير البغوي

143 - { وكذلك جعلناكم أمة وسطا } نزلت في رؤساء اليهود قالوا لمعاذ ابن جبل : ما ترك محمد قبلتنا إلا حسدا وإن قبلتنا قبله الأنبياء ولقد علم محمد أنا عدل بين الناس فقال معاذ : إنا على حق وعدل فأنزل اﷻ تعالى : { وكذلك } أي وهكذا وقيل : الكاف للتشبيه أي كما اخترنا إبراهيم وذريته واصطفيناهم { وكذلك جعلناكم أمة وسطا } مردودة على قوله : { ولقد اصطفيناك في الدنيا } (130 - البقرة) أي عدلا خيارا قال اﷻ تعالى : { قال أوسطهم } (28 - القلم) أي خيرهم وأعدلهم وخير الأشياء أوسطها وقال الكلبي يعني أهل دين وسط بين الغلو والتقصير لأنهما مذمومان في الدين .

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو معشر إبراهيم بن محمد بن الحسين الوراق أنا أبو عبد اﷻ محمد بن زكريا بن يحيى أنا أبو الصلت أنا حماد بن زيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري B قال : [قام فينا رسول اﷻ A يوما بعد العصر فما ترك شيئا إلى يوم القيامة إلا ذكره في مقامه ذلك حتى إذا كانت الشمس على رؤوس النخل وأطراف الحيطان قال (أما أنه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها إلا بقي من يومكم هذا ألا وإن هذه الأمة توفي سبعين أمة هي آخرها وأخيرها وأكرمها على اﷻ تعالى] .

قوله تعاليك { لتكونوا شهداء على الناس } يوم القيامة أن الرسل قد بلغتهم قال ابن جريج : قلت لعطاء ما معنى قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ؟ قال : أمة محمد A شهداء على من يترك الحق من الناس أجمعين { ويكون الرسول } محمد A { عليكم شهيدا } معدلا مزييا لكم وذلك أن اﷻ تعالى يجمع الأولين والآخرين في سعيد واحد ثم يقول لكفار الأمم الماضية : { ألم يأتكم نذير } (8 - الملك) فينكرون ويقولون ما جاءنا من بشير ونذير فيسأل اﷻ تعالى الأنبياء عليهم السلام عن ذلك فيقولون : كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة - وهو أعلم بهم - إقامة للحجة فيؤتى بأمة محمد A فيشهدون لهم أنهم قد بلغوا فتقول الأمم الماضية : من أين علموا وإنما أتوا بعدنا ؟ فيسأل هذه الأمة فيقولون أرسلت إلينا رسولا وأنزلت عليه كتابا أخبرتنا فيه تبليغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرت ثم يؤتى بمحمد A فيسأل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بصدقهم أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد اﷻ النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا إسحاق بن منصور أخبرنا أبو أسامة قال الأعمش أخبرنا أبو صالح عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول اﷻ A : [جاء بنوح يوم القيامة فيقال له : هل بلغت ؟ فيقول : نعم يارب فيسأل أمته هل بلغكم ؟ فيقولون : ما جاءنا من نذير فيقال : من شهودك فيقول محمد وأمته فقال رسول اﷻ A

فيجاء بكم فتشهدون ثم قرأ رسول الله ﷺ { وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا } [١] .

قوله تعالى : { وما جعلنا القبلة التي كنت عليها { أي تحويلها يعني بيت المقدس فيكون من باب حذف المضافن ويحتمل أن يكون المفعول الثاني للجعل محذوفاً على تقدير وما جعلنا القبلة التي كنت عليها منسوخة وقيل معناه التي أنت عليها وهي الكعبة كقوله تعالى { كنتم خير أمة { أي أنتم .

{ إلا لنعلم من يتبع الرسول } فإن قيل ما معنى قوله : (إلا لنعلم) وهو عالم بالأشياء كلها قبل يتعلق بما يوجد معناه ليعلم العلم الذي يستحق العامل عليه الثواب والعقاب وقيل : إلا لنعلم أي : لنرى ونميز من يتبع الرسول في القبلة { ممن ينقلب على عقبيه { فيرتد وفي الحديث إن القبلة لما حولت ارتد قوم من المسلمين إلى اليهودية وقالوا : رجع محمد إلى دين آباءه وقال أهل المعاني : معناه إلا لعلمنا من يتبع الرسول ممن على عقبيه كأنه سبق في علمه أن تحويل القبلة سبب لهداية قوم وضلالة قوم وقد يأتي لفظ الاستقبال بمعنى الماضي كما قال الله تعالى { فلم تقتلون أنبياء الله ﷺ } (٩١ - البقرة) أي فلم قتلتموهم { وإن كانت { أي قد كانت أي تولية الكعبة وقيل : الكناية راجعة إلى القبلة وقيل : إلى الكعبة قال الزجاج : وإن كانت التحويلة { لكبيرة { ثقيلة شديدة { إلا على الذين هدى الله ﷻ { أي هداهم الله ﷻ قال سيبويه : (وإن) تأكيد يشبه اليمين ولذلك دخلت اللام في جوابها { وما كان الله ﷻ ليضيع إيمانكم { وذلك أن حيي بن أخطب وأصحابه من اليهود قالوا للمسلمين : أخبرونا عن صلاتكم نحو بيت المقدس إن كانت هدى فقد تحولتم عنها وإن كانت ضلالة فقد دنتم الله ﷻ بها ومن مات منكم عليها فقد مات على الضلالة فقال المسلمون إنما الهدى ما أمر الله ﷻ به والضلالة ما نهى الله ﷻ عنه .

قالوا : فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا ؟ وكان قد مات قبل أن تحول القبلة من المسلمين أسعد بن زرارة من بني النجار والبراء بن معرور من بني سلمة وكانوا من النقباء ورجال آخرون فانطلق عشائريهم إلى النبي A وقالوا : يا رسول الله ﷺ قد صرفك الله ﷻ إلى قبلة إبراهيم فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس ؟ فأَنزل الله ﷻ تعالى { وما كان الله ﷻ ليضيع إيمانكم { يعني صلاتكم إلى بيت المقدس { إن الله ﷻ بالناس لرؤوف رحيم { قرأ أهل الحجاز و ابن عامر و حفص لرؤوف مشبع على وزن فعول لأن أكثر أسماء الله ﷻ تعالى على فعول وفعل والشكور والرحيم والكريم وغيرها و أبو جعفر يلين الهمزة وقرأ الآخرون بالاختلاس على وزن فعل قال جرير : .

(ترى للمسلمين عليك حقاً ... كفعل الواحد الرؤف الرحيم) .

والرأفة أشد الرحمة

